التعليم الجيد وبناء الشخصية الوسطية

أ.د. نبيل السمالوطي*

المقدمة :

يحتل التعليم وتحتل التربية وصناعة الإنسان عقيدة وفكراً وقيماً وسلوكاً وعلاقات وتفاعلات بينه وبين نفسه والمجتمع والله، يحتل مكانة كبرى منذ بداية التاريخ وعلى مدى مختلف العصور ولا يزال وإلى اليوم وحتى تقوم الساعة، فقد بدأت البشرية كلها بآدم عليه السلام الذي علمه الله الأسماء كلها وبهذا تفوق على الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون "وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، قالوا لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم" (البقرة ٣٠-٣١)، وبدأت رسالة محمد بالتعليم والعلم والقراءة ، قال تعإلى "أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ" (العلق ١-٥)

وإذا نظرنا إلى التعليم وبداية الحضارات القديمة نجد أنها ما قامت ونهضت وتقدمت إلا بالتعليم والعلم، فحضارة مصر القديمة التي بدأت مع النبي إدريس عليه السلام الذي نشأ وعاش وبعث في مصر، وكان معاصراً لآدم عليه السلام في نهاية عصره، هذه الحضارة المصرية أقدم وأعرق الحضارات بدأت بالعلم الديني والعلم الدنيوي، وكلاهما علوم إسلامية طالما أنها تستهدف إصلاح الناس وتجويد حياتهم ورفع مستوياتهم في إطار من منظومة القيم والأخلاق التي تتفق مع الفطرة والعقل وأوامر الخالق عز وجل، وقد كان التعليم في مصر القديمة كما يشير إلى ذلك أكبر كتاب في الحضارة المصرية القديمة وفي مقدمتهم (برستد) صاحب كتاب (فجر الضمير في الحضارة المصرية القديمة) ونجيب ميخائيل وغيرهما، كان التعليم متقدماً شكلاً وموضوعآ بدليل إنجازاتهم العبقرية في الطب والهندسة والنحت والتحنيط وعلوم الفلك ... إلخ، وقد بنيت الحضارة الصينية والهندية واليونانية والرومانية وحضارات الشرق القديم في بابل وأشور ... كلها بنيت على تعليم متقدم بمعايير العصر، وكانت أقدم الحضارات قاطبة الحضارة المصرية القديمة، فقد جاء إلى مصر العديد

---

* العميد الأسبق لكلية الدراسات الإنسانية، وأستاذ علم الاجتماع – جامعة الأزهر.

من كبار الفلاسفة والمفكرين والعلماء، جلسوا فيها وتعلموا من علومها مثل أفلاطون وأرسطو وفيثاغورث وعلماء القانون في اليونان والرومان وغيرها.

كل هذا يعني أن التقدم والحضارة والعقيدة والعلوم والفنون الضرورية للارتقاء بحياة الإنسان والمجتمع ... ترتبط بالضرورة بالتعليم بأشكاله ومناهجه وأساليبه وأهدافه المختلفة، ولم نرى أمة أو دولة تقدمت ونهضت علمياً أوفكرياً أو أخلاقياً أو أدبياً أو فنياً إلا بالتعليم، فالمسلمون الأوائل في القرون الأولى الذين فهموا واستوعبوا وطبقوا تعليمات القرآن والسنة في ضرورة فهم سنن الله في الكون والمجتمع والتاريخ والنفس الإنسانية ومختلف خلق الله، انطلقوا فأبدعوا علوماً وفنوناً وآداباً جديدة، وطوروا ما وجد منها في الحضارات السابقة، وهم لم يحفظوها ويترجموها فقط إلى العربية ولكنهم تعدوها وأضافوا اليها وشرحوها، ويكفي في هذا الرجوع إلى ابن رشد وابن سينا، فابن رشد هو المعلم الثاني بعد ارسطو، اعلى من قيمة العقل، واكد استحاله تصارع العقل السليم مع النقل الصحيح، ليس هذا فحسب، وانما امتدت عبقرية علماء المسلمين إلى رفض المنطق الأرسطي على أساس انه لا يؤدي إلى جديد وابتدع المسلمون نوعين من المنطق لا غنى للمجتمع عنهما. القياس الشرعي وهو غير القياس الارسطي وهو قياس الشاهد على الغائب والاستدلال بالنصوص وتطبيقها على وقائع جديدة بشرط توافر شروط ومكونات ما جاء بالنص الشرعي. اما المنطق الثاني الذي ابدعه المسلمون ولم يعرف قبلهم فهو المنطق العلمي التجريبي الذي أبدعه علماء أصول الفقه من خلال مفاهيم الدوران وتنقيح ألفاظ اي دوران العله مع المعلول وجوداً وعدماً، واستصفاء العلة الحقيقية للحكم الشرعي أو العلمي بعد استبعاد المسارات الأخري، فالعلة في تحريم الخمر ليس اللون الاحمر أو الفوران أو الغضب انما العلة هو الإسكار.

فالمسلمون الأوائل عندما فهموا مقصود الشرع أبدعوا علوماً وفنوناً وآدابا وأبدعوا مناهج استقرائية واستنباطية، عقلية وتجريبية، وطوروا التعليم والتعلم والعلم فكانت اقوى حضارة علمية أنتجت قيمة فكرية فنية وادبية في تاريخ العالم ، وكانت هي الحضارة التي استمد منها الغرب كل مفهومات القضاء على عصور الظلام والتخلف على مدى أكثر من ألف عام من القرن الخامس عشر الميلادي، وهي الحضارة التي خلقت في الغرب عصر التنوير وعصر النهضة، ونقلوها من خلال منافذ كثيرة أهمها الأندلس التي بقى فيها الإسلام والعلوم الإسلامية ثمانمائة عام، وجزيرة صقلية والحروب الصليبية.

التعليم وبداية النهضة الحضارية المعاصرة

وفي العصر الحديث والمعاصر لم تتقدم الدول إلا من خلال تجديد وتطوير الخطاب في النشاط والمناهج التربوية والتعليمية، فاليابان بعد ضربها لأول مرة في التاريخ بالقنابل النووية في هيروشيما، نجازاكي، وهزمت في الحرب العالمية الثانية، طلب القائد الامريكي المنتصر من هيروهيتو امبراطور اليابان في وقتها ان يقدم بنفسه وثيقة الاستسلام إمعاناً في الاذلال، وبالفعل قدم امبراطور اليابان هذه الوثيقة للقائد الامريكي وقال له ما معناه أننا يا سيدي هزمنا في المدارس والتعليم وقاعات العلم والتحصيل الدراسي قبل أن نهزم في ساحات الحرب. ومن يومها (سنة ١٩٤٥م) انصب اهتمام اليابان على التعليم والعلم والبحث العلمي وبناء الشخصية اليابانية المسلحة بالمعرفة والعلم والولاء للوطن، وبهذا وهذه وبدون توافر أية ثروات أو إمكانات مادية كبيرة وصلت اليابان إلى تفوقها العلمي والتقني والبشري والاقتصادي والاجتماعي المعاصر.

وإذا انتقلنا إلى الاتحاد السوفيتي بعد ثورة ١٩١٧م نجد أنه ركز وبشكل كبير على التعليم لبناء الشخصية المتعلمة المبدعة المؤمنة بروسيا والإشتراكية العلمية كما كانوا يسمونها وهي الفكر الماركسي، وركز التعليم السوفيتي على بعض المجالات الاستراتيجية لمواجهة الفكر والمجتمعات الرأسمالية، خاصة في مجال العلوم العسكرية وصناعة السلاح وصناعة الفضاء، واستطاع السوفيت الوصول إلى قمر صناعي هو (سبوتنيك)، وهنا جن جنون الغرب خاصة الولايات المتحدة الأمريكية لدرجة أنها أصيبت بما اطلق عليه حمى سبوتنيك بسبب تفوق الإتحاد السوفيتي عليها في مجال الفضاء، وهذا في نظرهم خطر عظيم. لهذا شكلوا لجان الفحص التي اتجهت مباشرة إلى إعادة النظر في التعليم سواء من حيث المناهج الدراسية أو إعداد المعلم أو نوعية العلوم المدروسة والبحث العلمي بداخل المعاهد والمؤسسات العلمية، أو ادارة التعليم و إدارة البحث العلمي أو مناهج بناء الشخصية الأمريكية بفكرها واتجاهها ومعارفها وصولاً إلى الابداع والإبتكار للتفوق على الإتحاد السوفيتي. هنا أصدرت اللجنة المشكلة لهذا الأمر دراسة خطيرة أطلق عليها الأمة في خطر A nation at risk، ومن ثم طوروا وابدعوا وانشأوا وكالات بحثية وعلمية متقدمة على رأسها وكالة ناسا للفضاء، وتحديث مراكز الجامعات والمؤسسات العلمية. نفس الأمر شعر به المسئولون في بريطانيا التي كانت عظمى لا تغيب عنها الشمس ، ولكنها تراجعت كثيراً، هذا ما جعل قادة بريطانيا مثل توني بلير يؤكدون ان المشروع القومي أو الوطني الأول في الدولة هو التعليم.

هذا ما فعلته الصين التي كانت مستعمرة بريطانية، وعانت سنوات طويلة من الإدمان أو حرب الأفيون التي فرضت عليها، أفاقت الصين وتخلصت من أغلب جوانب التخلف والإدمان والسلب والنهب الإستعماري من خلال تكامل السياسة مع الإقتصاد استنادا إلى بناء شخصية الصين الإيدولوجية والسياسية والمعرفية والعلمية، الشخصية المبدعة من خلال التعليم. نفس الامر حدث مع النمور الآسيوية مثل كوريا الجنوبية وفيتنام وسنغافورة .... الخ، هذه وغيرها تحولت من أقصى درجات التخلف إلى أعلى درجات التنمية الشاملة، وإلى بناء الشخصيات المبدعة الوطنية المنتمية والموالية لوطنها من خلال التعليم والبحث العلمي، ويكفي هنا قول (لي كوان يو) في دراسة له بعنوان (قصة سنغافوة من التخلف إلى التقدم) أشار بجلاء أنه استلم حكم سنغافورة وهى مجموعة من البرك والمستنقعات يسودها مختلف الأمراض الوبائية والمتوطنة، وهي بلدة بالغة الصغر ربما تساوي محافظة مصرية، أوضح أنه خلال ٣٦ سنة فقط نقلها من خلال التعليم والبحث العلمي وبناء الشخصية المنتمية لبلدها المؤمنة بالوطن والمواطنة إلى أقصى درجات التقدم الإقتصادي والتكنولوجي وإلى أعلى دخول العالم للفرد السنغافوري.

مفهوم التعليم الجيد

فالتعليم والتعلم والبحث العلمي هو المدخل الأساسي والاستراتيجي لكل تقدم على كل المستويات الاقتصادية والتكنولوجية والسياسية والاجتماعية والعسكرية والدينية، والتعليم هو المدخل الوحيد والأساسي لبناء الشخصية الوطنية بجوانبها العقائدية والفكرية والقيمية والمعرفية والجسمية والاجتماعية والانفعالية ... إلخ، الشخصية القادرة على الإبداع والإبتكار وإستيعاب كل متغيرات العصر والإضافة إليها بما يدعم القيمة الوطنية ورفع مستوى الحياة وتحسين نوعية حياة المواطن. فالتعليم القادر على خلق الشخصية الإيجابية والمواطن المشارك والمسئول عن مواجهة أزماته وأزمات أسرته ومجتمعه ودولته، والقادر على مواجهة كل أنواع التخلف وتحقيق كل أنواع التقدم والتنمية.

كل ذلك من خلال تعليم وتعلم جيد قادر على تعليم وتنمية التفكير النقدي واستيعاب علوم العصر حيث القدرة الاستيعابية لكل مرحلة تعليمية، تعليم قادر على غرس العقيدة الصحيحة ومنظومة القيم العليا ومكارم الأخلاق، تعليم قادر على تنمية روح المواطنة والتسامح واحترام حق الآخر في العبادة وإبداء الرأي وحرية التفكير، تعليم قادر على التفاعل

مع الآخر المختلف دينياً وعقائدياً وفكرياً وعرقياً واقتصادياً بشكل إيجابي وصولاً إلى مشتركات ثقافية واقتصادية وفكرية مشتركة يعمل الجميع على بنائها وتنميتها. تعليم ينمي الحوار العلمي البناء ويعلم الطلاب آدب الأختلاف وترك المختلف فيه (عقيدة أو عبادات أو دين أو سلوك)، إيماناً أن التعددية والاختلاف بين الناس سنة وإرادة إلهية (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ .. الآية) سورة هود ١٨ – وقإلى تعإلى (لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣) إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ) سورة الشعراء ٣–٤.

تعليم يعلم الناس أو الطلاب التركيز على كل ما يحقق التقدم العلمي والتكنولوجي والمعرفي والفكري والاقتصادي والسياسي والاجتماعي للوطن المشترك، تعليم يركز على السمو على سفاسف الأمور ويركز على عظائمها، تعليم يعلي من قيمة الوطن والمواطن ويسهم في تحسين مستوياته المعيشية، ويحقق للمواطن جودة الحياة على كل المستويات التعليمية والصحية والمادية والاقتصادية والنفسية والاجتماعية .. الخ. والتعليم الجيد قادر على تشخيص عوامل التخلف ورسم سبل مواجهتها، هو الذي لا يقوم على التلقين والمحاضرات ويجعل المتعلم كائناً سلبياً متلقياً لا دخل في الوصول لمصادر المعرفة، التعليم الجيد هو الذي يعلم الطالب كيف يفكر، وكيف يتواصل بنفسه مع مصادر المعرفة، التعليم الجيد هو الذي يدرب الطالب على نقد ما يصل إليه من معارف من مصادرها المختلفة، التعليم الجيد هو الذي يمكن الطلاب من المقارنة بين المعارف على أساس معايير علمية موضوعية، وكما يمكنهم من إستبعاد بعض المعارف وإعلاء شأن أخرى بناء على هذه المعايير، التعليم الجيد هو الذي يمكن الطلاب من حل المشكلات ليس فقط المشكلات العلمية والمعرفية والفكرية، ولكن حل مشكلات الواقع الذي يعيشونه سواء أكانت أسرية أو اقتصادية أو اجتماعية أو بيئية. التعليم الجيد لا يكتفي بالمعلومات سواء التي توجد في الكتب والمراجع أو التي يصل اليها الطلاب بأنفسهم من مصادرها الورقية أو الإعلامية أو الإلكترونية أو الحياة الواقعية .. الخ، وإنما التعليم الجيد يجب أن يزاوج بين المناهج المعرفية والأنشطة الواقعية التي تسهم في بناء الشخصية وغرس القيم والأخلاق وتنمية روح المواطنة، وتدرب الطلاب على ممارسة ما يتلقونه نظرياً، فحين نتحدث عن الحوار والتسامح وحقوق الغير وأدب الأختلاف نتحدث عن أهمية وقداسة الوطن والمواطنة، نتحدث عن أهمية تاريخ البلد وضرورة الإعتزاز به، نتحدث عن مشروعات عملاقة تقوم بها الدولة – في مصر

مثلاً– مثل مشروعات الطاقة والكهرباء والطرق والإسكان والقضاء على العشوائيات ومحور قناة السويس، وتنمية سيناء، وتنمية الصعيد من خلال إنشاء قناطر اسيوط وغيرها وإنشاء مصانع للأسمنت والأدوات الكهربائية والبترولية وغيرها ... نتحدث عن كل هذا وغيره نظرياً، هذا لا يكفي لبناء الشخصية المنتمية الموالية المحبة لمجتمعها، لابد فيه من تنظيم رحلات إلى بعض هذه المناطق ليراها الطلاب بأعينهم.

نحن نتحدث عن عمق الحضارة والتاريخ المصري وأنها أول حضارة وأول دولة وأول مجتمع عرف الزراعة وإستئناس الحيوان، وأول دولة وحدت الله وآمنت بالبعث والحساب والعقاب والثواب في اليوم الأخر، أول دولة أبدعت علوم الطب والكيمياء والألوان والتحنيط والهندسة والعمارة والزراعة ... الخ، أول دولة حققت قيم العدالة الإجتماعية والرخاء بين ابناء الشعب. هل يكفي للإيمان بهذا ان تحفظ فقرات في كتب ونطرحها على الطلاب فى ورقة الامتحان ثم تُنسى ولا يبقى لها أثر؟ ألا يتطلب الأمر رحلات إلى الأماكن الاثرية والتاريخية والمتميزة في مصر لتثبت هذه المعلومات، رغم إعتزاز الطلاب بتاريخهم وحضارة بلدهم وما كتب على الآثار التي يرجع عمرها إلى سبعة آلاف سنة من إنجازات نعجز عنها نحن اليوم في حضارة القرن الواحد والعشرين؟

لقد قمت بزيارة بعض دول أوروبا مثل فينا، وفي طريقي إلى سالزبرج بالسيارة توقفنا عند منطقة يطلق عليها (مون هأوزن) المنطقة التي زعم اليهود أن هتلر أحرق اليهود فيها، وفعلا شاهدنا أفراناً فوق بعضها البعض كأدراج تتسع كل منها لإنسان، وشاهدنا مناطق ما يشبه الدس قبل أن يوضع فيها اليهود ثم تصب عليهم غازات سامة تقتلهم، ثم يوضعون في المحارق، والذي لفت نظري وجود مجموعات كبيرة ومتعددة من الأطفال وتلاميذ الإبتدائي، مع كل مجموعة مشرف، وعلمت أن هذه الزيارات للطلاب اليهود وغير اليهود هي جزء من المقررات الدراسية لإثبات الزعم الخاطئ الذي كذبه المؤرخون من علماء الغرب أنفسهم مثل (روجي جارودي) أن هتلر حرق ٧٠٠٠ يهودي ومن ينكر ذلك في فرنسا يحاكم بقانون (جسو) وفي أوروبا يحاكم بمعاداة السامية وقد قدم جارودي للمحاكمة. المهم عندي الفكرة وهي أنه يجب علينا في مصر أن نصحب طلابنا إلى المتاحف والمناطق الأثرية لنرى بأعيننا عظمة حضارتنا ومجتمعنا.

وأذكر عندما كنت في الثانوية العامة كانت هناك رحلة شبه إجبارية للتعرف على معالم حضارتنا العظيمة في الأقصر واسوان، لكن الرحلة لم تستمر وتم الغاؤها. بل إن الحضور في المدارس نفسه ضعف جدا جدا لدرجة اننا نتساءل هل هناك تربية وهل هناك تعليم في

المدارس، هل هذا من شأنه صناعة إنسان جيد مؤمن بربه ووطنه لديه المعارف والعلوم ولديه شعور بالمسئولية نحو مواجهة أزماته وأزمات وطنه ؟.

كل هذا يعني أن التعليم المعرفي فقط لا يكفي لتنمية المهارات وغرس أفكار وقيم وصناعة سلوكيات مخططة واساليب فعالة للتفكير والعلاقات والمعاملات وبناء الشخصية الوطنية المسئولة المشاركة في قضايا مجتمعها، وأن الأمر يتطلب أجندة وأنشطة وفعاليات متعددة كالمعامل والمكتبات الورقية والإلكترونية وأنشطة ثقافية ورياضية وفنية ورحلات وزيارات للمواقع الأثرية والصناعية والزراعية والجغرافية .. التي تتحقق فيها تنمية متميزة.

التعليم وصناعة الإنسان الوطني العصري

يعد التعليم المقترن بنموذج متقدم من التربية الفكرية والروحية والمعرفية العقلية والجسمية والصحية والإجتماعية والإخلاقية والقيمية .. إلخ، هو المدخل الأساسي ان لم يكن الوحيد لصناعة الإنسان الوطني العصري بالمعايير السابق ذكرها. وقد تبنى أستاذي المرحوم الدكتور أحمد ابو زيد شيخ الأنثربولوجيين العرب مشروعاً في جامعة الإسكندرية يدور حول إعادة بناء الإنسان المصري. وقد أوضح المشروع أبرز الخصائص الاجتماعية والثقافية التي يجب غرسها وبناؤها داخل الإنسان المصري والتي تختلف في بعض جوانبها عن مواصفات الإنسان المصري وقت إطلاق البرنامج .. وظهرت محاولات أخرى من جانب بعض الجامعات والمراكز العلمية مثل المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية .. لكن أغلب هذه الجهات توقفت عند مرحلة الوصف والتشخيص وأهمية التغيير في بعض جوانب الشخصية دون النظر لآليات التغيير أو طرح تصور لما يجب أن تكون عليه الشخصية المصرية في جوانبها المختلفة بالتفصيل وبيان المخطط العلمي الواقعي لتحقيق ذلك عملياً في إطار الإمكانات المصرية الموجودة وفي إطار خطة زمنية دقيقة وملزمة، هذه الخطة تستلزم مجموعة كبيرة من الأبعاد المتكاملة أهمها معارف ومهارات وخبرات ومعتقدات وقيم وأخلاقيات وسلوكيات وعلاقات وإتقان لمهن وحرف تحتاجها الدولة في مشروعات التنمية المستدامة.

ويهمنا جدا التطرق لمفهوم بناء أو إعادة بناء الإنسان، فالبناء أسهل كثيراً لأنه يغرس الخصائص المطلوبة منذ الطفولة المبكرة ويستمر في غرسها حتى التخرج من الجامعة. أما اعادة البناء فهو أصعب لأنه يتضمن عملية نزع الخصائص غير المطلوبة أولاً أو ما يطلق عليه Dis-learning ثم غرس الخصائص للشخصية المستهدفة Learning وكلاهما عمليتان

بالغة الصعوبة. ومن جهة أخرى فإن التصور المقترح المستقبلي سواء للبناء أو اعادة البناء يقتضي وضوح كامل لأركان الشخصية المطلوبة مستقبلا بما فيها الأركان أو الابعاد العلمية المعرفية أو الأركان الأيدولوجية العقدية، لأنه لا يوجد مجتمع في التاريخ أو في العالم قديماً وحديثاً يقتصر تركيزه على الجوانب المعرفية العلمية فحسب، فهناك بالضرورة الجوانب الأيدولوجية أو العقائدية أو الأخلاقية أو التوجهات الفكرية والمذهبية التي يؤمن بها المجتمع أو قادة المجتمع أو الأمة والتي تتطلب غرسها في النشئ أو من المطلوب إعادة بناء شخصية المراهقين وصغار الشباب على أساسها.

وبالرجوع إلى مختلف الإيدولوجيات الكبرى كالماركسية والرأسمالية والمختلطة، أو إلى المعتقدات والأديان سواء السمأوية أو الوضعية كالبوذية والهندوسية والشنتوية، نجد أن لكل منها تصور حول نوعية الخصائص والسمات الشخصية المطلوب من برامج التعليم غرسها في الأطفال أو النشئ أو الشباب، ففي الدول التي تتبنى الماركسية كالاتحاد السوفيتي سابقا والصين وكوريا الشمالية ودول شرق أوروبا سابقاً وقبل انهيار الإتحاد السوفيتي رفعت كل الأحزاب الشيوعية فيها شعار إعادة بناء الإنسان لغرس القيم والمبادئ والفكر والإيمان الكامل بالماركسية سواء اللينينية في الإتحاد السوفيتي أو المأوية نسبة إلى مأوتس تونج في الصين. هذا أيضا ما يحدث في الغرب حيث يركز التعليم هناك على غرس الإيمان بمبادئ وقيم الرأسمالية خاصة الحريات وحقوق الإنسان وآليات السوق الحر وعدم تدخل الدولة في الأنشطة الاقتصادية إلا في أضيق نطاق. وهكذا الأمر في التعليم في الهند والصين حيث تختلط العلوم والمعارف بمبادئ بوذا وكونفشيوس بجلاء في كل برامج التعليم هناك.

وقد ظهر هذا التوجه الحزبي الايدولوجي في عالمنا العربي خلال فترة الخمسينات والستينات تحت تأثير جمال عبد الناصر، فقد سادت فكرة القومية العربية، وكانت غاية الأحزاب وقتها في كل العالم العربي شرقاً وغرباً أن يركز التعليم على مفهوم وفكرة ومبدأ القومية العربية التي يجب من خلالها تجاوز الاختلافات الدينية أو العرقية أو الجنسية ... إلخ. وقد أقترنت القومية العربية في ذلك الوقت بالإشتراكية. ثم انتقلت الدول العربية إلى تصور آخر أدى إلى تفتت واضح بين مواطني العالم العربي، كما أدت إلى العديد من أوجه التطرف والفساد عندما رفعت أحزاب العالم السياسي وبعض جماعات السلفيين شعار إعادة بناء الإنسان، وكانت أعظم المخاطر هنا إدخال الدين في السياسة بشكل لا يحقق العدالة الإجتماعية بين الجميع دون تمييز، وإنما لتحقيق مصالح خاصة سياسية وسلطوية

واقتصادية واجتماعية لأفراد أو جماعات قليلة من الناس مستغلين في هذا شعارات ولافتات دينية أي أنهم وظفوا الدين لا لنشر العدالة والحرية وحقوق الإنسان للجميع كما أكد الفقهاء الكبار، وإنما وظفوا الدين للوثوب على السلطة والحكم والتسلط على الناس. هنا حاول أنصار الإسلام السياسي إعادة بناء الإنسان لا لنشر قيم المحبة والإخاء والمساواة والوسطية والعدالة والحرية وقبول التنوع وقبول الآخر والمشاركة المسئولة في بناء المجتمع والتنمية المستدامة، وإنما حاولوا إعادة بناء الإنسان للسمع والطاعة لما يأمر به سادة الجماعات الدينية وتنفيذ ما يوجه إليهم دون مناقشة أو حوار أو حق للمراجعة والحوار. ولا شك أن هذا التوجه وأمثاله من الأمر بالبيعة والسمع والطاعة وإعطاء قداسة وعصمة لبعض الزعماء الدينيين أبعد ما يكون عن فهم الإسلام في عدالته ووسطيته ودعوته للحوار والحريات وحقوق الإنسان والسلام لكل الناس دون تمييز على أي أساس من الأسس.

العصمة في الإسلام سقطت بانتقال محمد عليه الصلاة والسلام إلى جوار ربه ومع آخر أنبياء الدين الخاتم وهذه الأيدولوجية المتصلة بالإسلام السياسي وما يماثلها من أيدولوجيات زائفة تكرس العصبية والصراع والفرقة والظلم والفساد والإفساد في الأرض.

بناء الإنسان المصري في إطار التنمية المستدامة، العلم، التعددية، الحوار وقبول الآخر: ورد في تكليف الرئيس المصري لحكومة الدكتور مصطفى مدبولي العمل على إعادة بناء الإنسان المصري، وكلف بهذا كل أعضاء الحكومة وهنا يجب أن يكون لدى المسئولين منظومة محددة من السمات والخصائص الشخصية المستهدف غرسها في الأطفال والنشئ والشباب حتى يكونوا مواطنين صالحين منتجين ومتعأونين مزودين بمنظومة قيم تمكنهم من قبول التعددية وقبول الآخر وقبول الاختلاف وقبول الفكر الجديد والإبداعات والإبتكارات المختلفة تمكنهم من التواصل مع مصادر المعرفة والإبداع ومحاولة تغيير الواقع إلى ما هو أفضل بشرط أن يكون في إطار المنظومة القانونية الحاكمة للبلاد. ويمكن القول أن نموذج الشخصية المطلوب بناؤها في رياض الأطفال والمدارس والمعاهد والجامعات ومؤسسات الثقافة في الشباب والمؤسسات الدينية والمؤسسات الاجتماعية تتمثل في أمور أهمها :

أ- الإيمان أن التعددية والإختلاف بين البشر في العقيدة والآراء والسلوك والمستويات الإقتصادية والاجتماعية ... إرادة إلهية لابد من قبولها.

ب- قبول التعددية كسنة الله في الخلق يتطلب التعايش السلمي بين المختلفين.

ج- التعايش السلمي بين المختلفين دينياً وعرقياً وفكرياً واقتصادياً .. الخ يتطلب البعد تماماً عن الواقع الشخصي المختلف فيه والتعاون على المشتركات الوطنية والاقتصادية والاجتماعية التي تحقق الخير للجميع بغض النظر عن الإختلافات الشخصية.

د- التعأون بين كل المواطنين يعني أن هناك مشتركات أهمها وأعلاها أننا نعيش في وطن واحد، وعلى أرض واحدة، ونعاني من مشكلات مشتركة، ولنا آمال وطموحات أو تطلعات مشتركة أهمها تملك مفاتيح العلوم والفنون وتكنولوجيا العصر وأن نوظفها في مواجهة أزمات المجتمع والأسر والتجمعات المصرية وتحقيق التنمية المستدامة التي لا تلوث البيئة ولا تعتدي على حقوق الأجيال المقبلة، والتي يعود ناتجها المادي والأدبي على جميع الطبقات والفئات، والتي تحقق الاستمرار في الزمان والعمومية لكل أنحاء المجتمع أو الدولة.

هـ- هذا يعني أن برامج التعليم من الحضانات إلى أعلى الدرجات يجب أن تركز على السلام والوسطية والمواطنة، وعلى تحصيل أعلى درجات العلوم وتكنولوجيا العصر- على حسب القدرة الاستيعابية لكل مرحلة دراسية، كذلك يجب أن تركز على الإنجاز وتحسين مناخ الاستثمار وتحسين المستويات الاقتصادية وتحقيق صور الحياة لكل من يعيش على الوطن دون النظر إلى الاختلافات الحتمية بين المواطنين في العقيدة والرأي والتوجه والمستويات الطبقية والفكرية.

المتغيرات المرتبطة ببناء وإعادة بناء الشخصية الوسطية المعتدلة

رصد المحللون العديد من التغيرات السلبية في خصائص وسمات الشخصية المصرية مقارنة بخصائصها في الأربعينات والخمسينات والستينات من القرن العشرين أهمها تزايد حجم السلبية وعدم المبادأة وتزايد حجم الأنانية والاعتماد على الغير وعدم الاعتماد على النفس، وتزايد الأثرة وعدم تحمل المسئولية سواء في بيت الأب أو الأم أو في منزل الزوجية، فالكثير من الأزواج غير قادرين على تحمل المسئولية، والكثير من الشبان لم يربو كي يكونوا رجالا مسئولين، والكثير من البنات لم يتم تربيتهم كي يكن أمهات وزوجات ومربيات لأطفالهن. ولعل هذا ما أدى إلى ارتفاع معدلات الطلاق فوق ٤٠%، مما يصيب الأسر بالتفكك والأبناء بالضياع.

كذلك غابت عن كثير من الشباب روح المبادأة حرفية أو فرضية في أي مجال والاقتصار على إنتظار الوظائف الحكومية التي لم يعد لها وجود إلا في أضيق نطاق. وعلى الرغم من وجود جهاز تنمية المشروعات المتوسطة والصغيرة وجمعيات أهلية بها حاضنات للأعمال، ودعوة العديد من البنوك الحكومية والخاصة للشباب لمنحهم قروض لعمل مشروعات صغيرة، فإن الكثير من الشباب لا يستفيد من هذه الفرص. والملاحظ أن عدد المقاهي زاد بشكل كبير، ليس فقط في القاهرة والإسكندرية؛ بل في عواصم المحافظات والمراكز بل والقرى. فبعض القرى بها أكثر من خمسين مقهى والعديد من محلات السيبر، وأصبح الغالبية العظمى من الشباب يمتلكون تليفونات محمولة أو أجهزة لاب توب متصلة بالإنترنت. وهم يقضون أكثر من عشر ساعات يومياً يشاهدون ما تعرضه وسائل التواصل الاجتماعي أو يتحدثون مع زملائهم أو زميلاتهم. وقد أدى هذا التواصل إلى العديد من المشاكل الأخلاقية والأسرية والاجتماعية والجرائم المستحدثة، فالبحوث حول الطلاق المبكر وغير المبكر، والمشاكل الأسرية والصراعات الزوجية والجرائم الأخلاقية أثبتت – بما لا يدع مجالا للشك – أن للاستخدام الخاطئ لأدوات التواصل الاجتماعي دخل كبير فيها.

واليوم أصبحنا نسمع عن جرائم وافدة لم تكن موجودة من قبل: قتل الأزواج والزوجات وقتل الأبناء، وتزايد حجم الإدمان للمخدرات ، وظهور أنواع جديدة منها أكثر خطورة .. هذه وغيرها كثير من السلبيات التي لحقت بالشخصية المصرية وأخطرها عدم التدين الصحيح أو عدم فهم حقيقة الإسلام والمسيحية في الدعوة للوسطية والتسامح والعفو والاعتدال والحوار والبعد عن العنف ، واعتبار التفكير والعلم والتعلم والإنتاج والإتقان من الواجبات أو الفروض الدينية. ولعل الأخطر هو بدء ظهور حالات من الإلحاد أو إنكار الألوهية ، وهذا ليس خياراً شخصياً في نظري، ولكنه نتيجة لفشل بعض الأسر والكثير من المدارس لتعليم النشئ صحيح الدين وتدريبهم من خلال الأنشطة المدرسية على ممارسة قيمة كالعمل الجماعي، والتسامح، وعدم التكبر، وعدم الغرور عند الانتصار، وعدم الصراع واليأس عند الهزيمة، والعفو عند المقدرة، وتقديس الإنجاز والعمل والإتقان.

ولعل أهم عوامل أو العمليات المطلوبة فورآ لبناء شخصية الاطفال والنشئ أوصلاح ما اعوج من شخصية النشئ والشباب هي ما يلي :

أولاً :

إعادة بناء النظام التعليمي من الحضانة إلى الجامعة مرورا بالمراحل المختلفة، ليصبح نظاماً يجمع العمق والتكامل بين التعليم والتربيه، يعلم الطلاب كيف يفكرون ويتواصلون مع مصادر المعرفة، وكيف يحلون المشاكل العلمية (مسألة حساب أو أسئلة في النحو ... الخ) والمدرسية (العلاقة مع الأقران والمدرسة) أو الأسرية والحياتية، وهذا لا يتحقق إلا من خلال خلق منظومة متكاملة من العوامل اهمها وجود بناء مدرسى صالح توجد فيه ملاعب وأماكن للأنشطة الفنية والثقافية والترفيهيه إلى جانب فصول الدراسة ووسائل الإيضاح الجيدة والمرئية من كل التلاميذ، وأيضاً يجب أن يكون مقعد التلميذ مريحاً حتى يكون قادراً على استيعاب الدروس وعلى الحوار والمناقشة مع المعلم والطلاب.

وإلى جانب المبنى المدرسي الصالح للتربية والتعليم هناك العمود الفقري للعملية الدراسية وهو اعداد المعلم القادر على التعامل مع النشئ والشباب والذي يجمع بين المعرفة العلمية بالمادة التي يدرسها وبين المهارات التربوية وطرق التدريس التي تنمي التفكير والإبداع والتواصل مع مصادر المعرفة، وهناك جانب المناهج الدراسية والكتب المدرسية التي يجب ألا تقل في مستواها عن الكتب المدرسية في بلاد الغرب واليابان والدول المتقدمة، هذا في مجال العلوم التطبيقية والرياضيات. أما في مجال العلوم الاجتماعية والدينية فيجب أن نركز على تعليم صحيح الدين وتاريخ وجغرافية الوطن مصر، على أن يكون التدريس المعلوماتي مقترن بأنشطة مختلفة ورحلات لبناء شخصية وسطية متسامحة قادرة على التفكير والحوار، معتزة بوطنها لديها الولاء والفخر بتاريخ بلادها بوصفها اقدم حضارات العالم وعاش بها أغلب انبياء الله، ولها العديد من الأفضال بذكرها في الكتب المقدسة، وآخرها القرآن الكريم، هذا الفخر والولاء لمصر، وهذا البناء لشخصية وطنية وسطية مشاركة متفاعلة منجزة منتجة يحتاج لمعلم جيد ومدرب صالح متفائل يتسم بشخصية إنبساطية محبة للتلاميذ. وإلى جانب المبنى والمناهج وإعداد المعلم هناك الأنشطة المدرسية، وهناك الإدارة التربوية العلمية، وهناك الأجهزة التربوية والتعليمية كالخدمة الاجتماعية والمكتبات والمعامل والتفاعل مع البيئة المحيطة، وخدمة المجتمع والملاعب وغرف التربية الفنية والمسرحية والهوايات المختلفة ... ألخ.

وهنا لا يجب ان نبدأ من الصفر فنحن لا نخترع العجلة، ويجب الاسترشاد بالدول التي سبقتنا في تقدم التعليم مثل كندا وفلندا واليابان والنمور الآسيوية، وبما أن لنا خصوصيتنا الدينية والقيمية الأخلاقية فانه يجب ان تراعى هذه الخصوصية من خلال المناهج الدينية

والتاريخية والاجتماعية، ومن خلال الأبنية المدرسية، فمثلآ يجب مراعاة ان يكون هناك مسجد في كل مدرسة.

ثانياً :

بناء الإنسان وصياغة شخصية تعتمد بالدرجة الأولى على نوع التنشئة والتربية الأسرية كمؤسسة مسؤولة عن الانجاب والتربية، لكنها مؤسسة غير مخططة. أما المؤسسة المخططة التي لها المسؤولية الأولى والأساسية في بناء الشخصية المصرية التي تتسم بالوسطية والقيم العليا وتتسلح بأحدث علوم وفنون وتكنولوجيا العصر والممارسة العليا للحرف والمهن والفنون الراقية (طب – هندسة – قانون – زراعة – ... الخ) فهي المؤسسات التعليمية من الحضانة حتى الدرجات الجامعية العليا.

لكن مع المؤسسة الأسرية والتعليمية هناك مجموعة من المؤسسات مسئولة عن صياغة وبناء فكر وقيم وأخلاق وسلوك وعلاقات النشئ والشباب من خلال أنواع كثيرة من الخطابات التي يجب أن تتكامل مع الخطاب التربوي والتعليمي الذي فصلنا بعض الشئ في مكوناته تقوم بها مؤسسات الدين والاعلام والثقافة ... الخ. وهذه المؤسسات والخطابات خالقة للشخصية الوسطية (يقصد بالخطاب في هذا البحث كل ما تقدمه المؤسسات الأسرية والتعليمية والتربوية والاعلامية والدينية والثقافية والرياضية والشبابية وأجهزة المجتمع المدني سواء جمعيات أو منظمات غير حكومية، إلى جانب ما يقدم للنشئ والشباب من خلال اجهزة التواصل الاجتماعي من توجهات ومعلومات ومهارات مخططة أو غير مخططة)، فالخطاب هو كافة الجهود التعليمية والدعوية والعبقرية والقيمية والفكرية والسلوكية التي تستهدف غرس قيم أو تنمية فكر أو تعليم علاقات وأساليب تفكير وسلوك وعلاقات مع الله، ومع النفس، ومع الآخرين، ومع المجتمع الذي نعيش فيه. فالخطاب يتضمن معلومات ومهارات وتوجيهات وسلوكيات وقيم ومعايير، ويعد قوله عليه الصلاة والسلام (إتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن) خير أهداف التربية الوسطية وخير مثال للشخصية الإسلامية المعتدلة المتسامحة التي تتعامل مع كل الناس دون تمييز وباحترام، وتقبل الاخر كشخص، وتقبل وتتفاعل ايجابيآ مع الرأي المخالف، ومستعدة للتنازل عن آرائها إذا وجدت الحق والخير والصلاح لدى الطرف المعارض، الشخصية التي تميل للعفو كلما امكن ذلك، الشخصية التى ترى أن التعليم والتعلم وطلب العلم والعمل المنتج

والانجاز من الفرائض الدينية الواجبة بقدر الطاقة الممكنة، الشخصية التي ترى الوطن والحفاظ على ترابه وأرضه ومن يعيشون عليه من المواطنين والحفاظ على مؤسساته وكيانه ... فريضة دينية، الشخصية القادرة على استيعاب كل علوم ومعارف ومستجدات العصر، وعلى فرزها في ضوء معايير الشرع وفي ضوء معايير صالح الشخص وأسرته ومجتمعه ووطنه، والتعامل معها بإيجابية، الشخصية القادرة على الاسهام في الإضافة إلى المعارف والعلوم بكفاءة، الشخصية القادرة على التعامل بإيجابية مع وسائل التواصل الاجتماعي والشبكة الدولية، حيث تستطيع توظيفها للحصول على معارف ومهارات وعلوم في كل المجالات الفكرية والمهنية، وأيضآ توظيفها للترفيه المحترم دون ابتذال أو إسفاف أو انحراف. حديث الرسول السابق الإشارة إليه يتضمن كل ذلك وأكثر، فهو يؤكد على تقوى الله في كل زمان ومكان، وعلى ضرورة ترك السيئات فوراً واستبدالها بأعمال وطاعات وقربات إلى الله، دون ابطاء، وعلى مخالقة الناس– كل الناس دون تمييز – بخلق حسن.

هذه الجوانب المتعددة المتفاعلة من الشخصية المطلوب غرسها في النشئ والشباب، تتحقق من خلال مجموعة من الخطابات الموصية كما سبق الذكر، ولكن أهم هذه الخطابات وأكثرها أهمية وتأثيراً الخطاب التعليمي والتربوي الذي يتحقق بدءا من فصول الحضانة وحتى الجامعة، مروراً بمراحل التعليم قبل الجامعي. والعمود الفقري هنا هو المعلم التربوي المعد بشكل جيد لأداء هذه المهام. والخطاب التعليمي التربوي يتضمن بالضرورة كل أنواع الخطاب الاخرى، فالخطاب الديني يتحقق من خلال حصص التربية الدينية ، ومناهج التربية الدينية، والانشطة المرتبطة بها داخل المدرسة أو خارجها. والخطاب الإعلامي أيضاً متضمن بالضرورة في الخطاب التربوي من خلال طابور الصباح وما يلقى فيه من كلمات، ومن خلال تحية العلم، ومن خلال الصحافة المدرسية وغيرها، ونفس الامر بالنسبة للخطاب الثقافي، يتحقق داخل المدرسة من خلال الندوات واللقاءات مع قادة ورموز المجتمع والمسئولية، ومن خلال الرحلات، ومن خلال المسرح المدرسي وغيره من الأنشطة.

الآليات التربوية المدرسية لبناء الشخصية الوطنية

وإذا ما وصلنا للخطاب الوطني أو القومي أو تنمية الولاء للوطن وتنمية مفهوم المواطنة لدى التلميذ، فأرى ان المدرسة من اهم المؤسسات المؤهلة لذلك، ولا يمكن تنمية حب الوطن والمواطنة الا من خلال عدة آليات لابد من توافرها :

١- دراسة تاريخ مصر وكيف أنها أول وأقدم دولة وحضارة تصل في عمرها إلى سيدنا إدريس المصري النبي الذي عاصر آدم عليهما السلام، وإذا كانت الكتابة في مصر عمرها سبعة الآف سنة، فإن الحضارة المصرية تمتد إلى بداية البشرية.

٢- دراسة وفهم أهم إنجازات المجتمع المصري القديم والوسيط والحديث وأبرز الانجازات والانتصارات التي حققتها الحضارة المصرية على مدى هذه العصور.

٣- دراسة وفهم أهم الانتصارات التي حققتها مصر قديماً وحديثاً وأهمها حديثاً انتصارنا على إسرائيل في حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣م واستعادة عزتنا وكرامتنا وارضنا، وانتصارنا على التطرف وعلى الإسلام السياسي في ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣م.

٤- فهم ودراسة أهم رموز المجتمع المصري وقادته وأهم إنجازاتهم قديماً وحديثاً، وهذا يشمل الرموز من النبي ادريس عليه السلام وحتى محمد عبده ومصطفى كامل ومحمد فريد وجمال عبد الناصر والسادات والسيسي الذي أنقذ مصر من التطرف وحكم الإسلام السياسي الإرهابي .

٥- زيارة أهم المواقع المصرية العالمية، سواء على المستوى الأثري أو السياحي، سواء السياحة الترفيهية أو العلاجية أو الثقافية أو العلمية ... ألخ.

٦- زيارة أهم المشروعات الكبرى أو العملاقة الحديثة التي تنقل مصر إلى مستوى النمور الاسيوية، سواء في مجال قناة السويس أو الإسكان أو الطرق أو الكباري أو ألغاز أو الجامعات والمدن العالمية الحديثة ... وإلخ.

٧- ضرورة الاهتمام بدراسة اللغة العربية، فهي لغة القرآن الكريم ووعاء الحضارة العربية الإسلامية وعلومها .

٨- شرح أهداف الماسونية الصهيونية العالمية وهي إسقاط مصر من خلال آليات الجيل الرابع والخامس من الحروب وهي الإشاعات والتشكيك في كل أجهزة الدولة ، ونشر أخبار كاذبة وإحداث الفتن بجميع أنواعها ومحاولة إشعال حروب أهلية بين المواطنين على أسس دينية أو مذهبية أو عرقية أو اقتصادية ... إلخ ، وشرح جهود الدولة في ما وصلت اليه من آليات الجيل الرابع من الحروب وهي نشر التطرف والإرهاب واستلاب عقول الشباب وتوظيف الكتائب الإلكترونية أو الذباب الإلكترونية (الفيس بوك والتويتر والواتس وغيرها من آليات التواصل الاجتماعي) لتزييف وعي الشباب وتجنيدهم لتبني التطرف والفساد وممارسة الإرهاب والقتل وسفك الدماء وترويع الآمنين ، والتشكيك في

المؤسسات والمسئولين، كل هذا باسم الدين، وهذا أخطر الأسلحة الإرهابية لتفكيك وتدمير الدول والحضارات. ولا شك أن الإسلام الحقيقي وكل الرسالات السماوية تعادي هذه التوجهات لأنها جميعها تدعو للسلام والأمن والتعايش السلمي والتقدم وتحسين مستويات المعيشة وتحقيق جودة الحياة للجميع، وهنا لابد للمدرسة من خلال المناهج والأنشطة المختلفة بيان حرب الدولة ضد التطرف والإرهاب في مصر عامة وفي سيناء خاصة، وعلى المدارس توضيح انتصار الجيش والشعب والمؤسسات المصرية على كل أشكال الإرهاب وأن الجيش المصري المكون من كل أطياف المجتمع مؤسسة حامية للشعب وللوطن وللأرض والعرض ، وأنها توظف كل إمكاناتها لمواجهه أزمات المجتمع المختلفة، دون أن يؤثر ذلك على قدرتها على حماية مصر بحدودها المختلفة وتأمين مصر برآ وبحراً وجوا.

٩- وظيفة التعليم في تحصين الطلاب ضد آليات الجيل الرابع والخامس من الحروب، وفي مواجهه الكتائب الإلكترونية للجماعات المتطرفة والإرهابية التي تحاول احتلال عقول الشباب.

بهذا وغيره من الأنشطة والآليات التربوية والتعليمية والثقافية، تسهم المدارس بشكل جاد وعميق في بناء الشخصية الوطنية التي لها ولاء قوي وحقيقي بالأرض والوطن والتاريخ والحاضر، وبهذا تنشأ الشخصية الوطنية المحصنة ضد كل حملات التطرف والفساد والإرهاب والعنف، الشخصية المسلحة بحب العلم والتفكير النقدي، المسلحة بالحرف والمهن والعلوم والتكنولوجيا، الشخصية القادرة على الإبداع والإبتكار والإنتاج وإتقان العمل والإنجاز، الشخصية القادرة على استيعاب كل مستجدات العصر وتحويل مصر إلى نمر إفريقي يتغلب على النمور الآسيوية.

التعليم الأجنبي وخطورته على الشخصية الوطنية، والحرب الناعمة على الهوية

أوضحنا أن المدارس بما تقدمه من مناهج وأنشطة ومهارات وقدوة حسنة، وما تطبقه من استراتيجيات، بالشكل السابق بيانه تسهم بلا جدال في بناء الشخصية الوسطية الوطنية المنتجة المسلحة بالعلم والقيم العليا، وقبل هذا المسلحة بالولاء لله ثم الوطن، المسلحة بالمواطنة المسئولة، المسلحة بالمعرفة والمهارات والقدرة على التفكير الإبداعي، التفكير

النقدي الذي يجعلهم محصنين في مواجهه كتائب الإرهاب أو الذباب الإلكترونية القادمة من الشرق والغرب بأرقام فلكية.

واذا فحصنا المدارس والجامعات الأجنبية التي يتزايد عددها في مصر نجد أنها– في غيبة مجموعة من الضوابط والأبعاد – تصبح خطراً داهماً على بناء الشخصية الوطنية، وما ذاك إلا لأنها تفشل في خلق شخصيات مؤمنة بربها ووطنها وترابها، لديها ولاء وانتماء إيجابي لبلدها. فأغلب هذه المؤسسات الأجنبية لا تعير اهتماماً لدراسة اللغة العربية أو التاريخ الوطني أو رموز الوطن، ابتداءآ من الفرعونية إلى المسيحية إلى الإسلام وحتى وقتنا الحاضر. وعلى العكس من هذا فإن المدارس والجامعات الأجنبية تحرص على تعليم اللغات الأجنبية وأمجاد الدول الأجنبية وتاريخها ورموزها ... ألخ، وتهمل التعليم الوطني لغة وتاريخآ وحضارة وواقعآ، الأمر الذي يحدث شرخاً كبيرآ في الولاء الوطني للخريجين، وهم كثر لكثرة المدراس والجامعات الأجنبية في مصر، ويتزايد عددها عاماً بعد عام. وقد سجل العديد من المعيدات في قسم الاجتماع جامعة الأزهر رسائل علمية تحت إشرافي حول تدريس المدارس الأجنبية للغة العربية والتاريخ الوطني وتنمية الولاء الوطني. وللأسف اتضح ان هذه المدارس تركز على اللغات الأجنبية وتاريخ تلك الدول ورموزها وحضاراتها بشكل يفوق عشرات المرات اللغة والتاريخ والحضارة والواقع الوطني في مصر:

١- أشارت – على سبيل المثال – (سهير البابلي) في دراسة بعنوان (الجامعة الأمريكية في القاهرة) إلى ان إنشاء الجامعة يرمي إلى تعليم ابناء الطبقة العليا المسيحية، وتنمية العقلية الحرة، وهؤلاء سيكون لهم اليد الطولي في مستقبل مصر، كما ان هدف الجامعة الامريكية صبغ المجتمع المصري بالطابع الغربي، خاصة في الجوانب السياسية والاجتماعية والدينية، ودفعه نحو الأخذ بأساليب الحياة المعاصرة.

٢- يشير سعيد اسماعيل على إلي أن (بثينة عبد الرؤوف) قامت سنة ٢٠٠٦ بدراسة مهمة عن الدور التخريبي للتعليم الأمريكي في بلد مثل مصر، وأشارت (بثينة) إلى أن المدارس التي تمنح الدبلومة الأمريكية ليست (الا مجموعة مستوطنات أمريكية تتكاثر في مصر تكاثراً سرطانياً)، وترى أن الانتماء للجامعة الامريكية في مصر يؤدي إلى فقدان الشباب لعقولهم وتوجهاتهم وقيمهم وروحهم وثقافاتهم المصرية والإسلامية.

٣- هذا الأمر ينطبق – كما يشير سعيد اسماعيل – علي كل انواع التعليم الاجنبي سواء ليحل محلها رموز غربية، واللغة العربية تسقط ليحل محلها لغات الغرب أو الشرق، والولاء للوطن يسقط ليحل محله الولاء للدول صاحبة التعليم الاجنبي، والولاء لله والقيم الإسلامية يحل محله الولاء للمعتقدات والثقافات الأجنبية ، وهذا ما يطلق عليه سعيد اسماعيل مصطلح (الحرب الناعمة على الهوية من خلال التعليم)، ويؤكد سعيد اسماعيل ان التبشير كان له دوره في نشر التعليم الاجنبي في العالم الإسلامي والعربي. ويمكن في هذا الرجوع إلى (لورانس براون) في كتابه (الإسلام والارساليات) فالغرب يرى– كما يشير هذا الكتاب– ان المسلمين اذا اتحدوا في امبراطورية عربية صاروا قوة كبيرة ولعنة على الغرب، ولذا يجب ابقاؤهم متفرقين متفككين هنا يصبح لا قوة لهم ولا تأثير يقلق العالم الغربي.

كذلك أكد القس (كالهون سيمون) على قوة وأهمية التبشير في تفكيك وتفريق المسلمين والعرب، وكسر شوكة الحركات المناهضة أو المحاربة للاستعمار والفكر والحضارة الغربية.

لا شك أن الضعف الشديد في التعليم الحكومي الوطني وقوة التعليم الاجنبي يهيئ الخريجين للوقوع فريسة سهلة امام المؤامرات الماسونية والصهيونية والغربية المعادية للعرب والمسلمين، ولا شك ايضآ ان ذلك ينتج عن افتقاد الخريجين للحصانة والهوية الوطنية والدينية والثقافية لبلدهم. والواقع ان التعليم والتربية داخل المدارس بالشكل الذي سبق توضيحه يسهم بلا جدال في تحصين الطلاب والخريجين ضد كل محاولات الاستقطاب للجماعات المتطرفة والإرهابية عن طريق النت الذي يطلقون عليه اكثر من خمسائة تويتة ورسالة كذب وافتراء لإحداث الفتنة ونشر الأكاذيب والإشاعات داخل مصر والعالم العربي. وهكذا نرى أن التعليم الاجنبي يحدث شرخآ واضحآ في هوية الطلاب في مصر ما لم يضبط بالضوابط التربوية والثقافية والدينية والوطنية التي سبق ذكرها.

الخطاب التربوي والخطابات الأخرى

واذا كانت المؤسسات التربوية والتعليمية قادرة بشكل مخطط ومدروس على أداء أهداف كل الخطابات الإعلامية والدينية والثقافية والفكرية بشكل جيد متوازن، فإن هذا لايعني عدم أهمية المؤسسات الدينية والاعلامية والثقافية والشبابية، ذلك أن هذه المؤسسات لها أدوارها

بالغة الأهمية في غرس الأمل والتفاؤل وارتفاع الروح المعنوية عند الناس، هذا إلى جانب تعليم صحيح الدين من خلال المؤسسات الدينية الإسلامية والمسيحية، وغرس القيم الدافعة للتقدم والعلم والتعايش السلمي والانجاز، ومواجهه كل أشكال الفساد والتطرف والعنف والإرهاب والجرائم المختلفة ، هذا إلى جانب الأهداف الاخبارية والترفيهيه والقيمية والفكرية ... إلخ. وهنا يجب التأكيد على ضرورة توظيف كل الخطابات التربوية والدينية والاعلامية والثقافية والفنية ... ألخ لتحقيق نوع واحد من الشخصية الوطنية الايجابية، وان يكون هناك اتساق في الرؤية والتوجه، وعدم وجود صراع بينها.

ولعل المشكلة الواقعية التي نعانيها في مصر هو وجود تضارب وصراع أحياناً بين توجهات واهداف الخطابات المختلفة، ولعل هذا هو السبب الأساسي لانحراف بعض النشئ والشباب، هذا الانحراف يمكن أن يأخذ شكل سلوك غير منضبط أو شكل شغب أو شكل إدمان للمخدرات أو شكل تشكيك في الدين أو الإلحاد أو شكل عدم أداء العمل بشكل جيد أو شكل تخريب متعمد للمجتمع أو شكل تبني أفكار متطرفة أو شكل القيام بالانتماء لجماعات ارهابية هدفها القتل والترويع وسفك الدماء وإطلاق شائعات والهدف هو هدم المجتمع لصالح قوى الماسونية الصهيونية وكل القوى العالمية التي تسير في ركابها.

الفنون وبناء الشخصية الوسطية المعتدلة

تحدثنا عن أهمية التكامل والتنسيق بين معطيات كل الخطابات مع الخطاب التعليمي التربوي المدرس، وعن أهمية عدم التصادم بين أهدافها ومخرجاتها، وفي هذه الفقرة نركز على الفنون، فالإسلام اهتم بالعديد من الفنون، فالإسلام دين جميل، ودين يحب الجمال ويدعو اليه في كل مجال، ويكفي قوله عليه الصلاة والسلام (ان الله جميل يحب الجمال)، والفن أمر أقره الإسلام ولا يعاديه، ولكن بشروط وضوابط، هذه الضوابط تتمثل في التزام الفنون بمكارم الاخلاق وقيم الإسلام وقيم السماء العليا، وقد لفتنا القرآن الكريم في اكثر من آية إلى جمال الكون وما فيه من ابداع واتقان، وما يحققه ذلك من سرور وبهجة للناظرين، والإسلام يقبل الفنون كالشعر والنثر الراقي والعمارة والزخارف والقصص الراقية الهادفة والصوت الحسن بشرط التزامها بمنظومة الأخلاق وبشرط أداء وظيفة الارتقاء بذوق وفكر الإنسان ووجدانة ومشاعره ... ألخ.

ومن المهم داخل المدارس استخدام الفنون مثل الشعر والآداب والتمثيل وغيرها من خلال الإذاعة المدرسية والمسرح والمدرس، وعرض افلام وثائقية عن اثار مصر التي تمثل ثلث اثار العالم، وعن المشروعات العملاقة التي تقام في مصر، وعن انتصارات مصر على مدى التاريخ ، وأخرها انتصار اكتوبر المجيد ١٩٧٣م الذي أنهى مأساه الهزيمة في ١٩٦٧م وحرر الأرض والعرض ولقن اسرائيل – بأساطيرها المتعددة – هزيمة نكراء اعترفت بها اسرائيل صراحة يوم ٩ اكتوبر ١٩٧٣م، هذا الانتصار الذي أثبت ان الجيش المصري ومعه الشعب عصى على الانكسار، وأنه حقق معجزه عسكرية باجتياز الحاجز الترابي المائي الصعب، وخط بارليف الحصين، حقق معجزة – كما أكد الزعيم أنور السادات – على أي مقياس عسكري، وهناك انتصار الشعب في ثورة ٣٠ يونيو المجيدة ٢٠١٣ التي انقذت مصر من حكم الإرهابيين والإسلام السياسي.

هذه الفنون وغيرها من الفنون الراقية التى يجب استخدامها في المدارس لدعم القيم العليا الراقية، ولا شك أن السينما والمسرح والدراما التليفزيونية وكرتون الأطفال داخل المدارس وخارجها يمكن أن تلعب دورآ هاماً في بناء الشخصية الوسطية المحبة للعلم وللوطن وللإنجاز، وتجدر الإشارة هنا إلى تجربة الهند من خلال أفلام ودراما (هوليود) لقد ساهمت هذه الدراما في دفع الهنود إلى تبني قيم التسامح والتعددية وقبول الاخر، كذلك ساهمت سينما بوليود في نشر قيم التعايش السلمي في وسط عشرات اللغات والاديان والمعتقدات، مجتمع هندي واحد منضبط، ويكفي القول ان بالهند ما يقرب من ٣٠٠ مليون مسلم، وقد زرت الهند عام ٢٠١٧م وألقيت محاضرات في جامعة تنسيق الكليات الإسلامية في كيرلا جنوب الهند، وقد وجدت تعايشا سملياً رائعآ في ذلك البلد الصديق، ولم ينجرف مسلم واحد من الهند للأنضمام في صفوف داعش أو غيرها من جماعات الاسلام السياسي المنحرفة عن وسطية الإسلام وتوازنه وقيمه العليا.

لهذا اقول أنه يجب على انشطة المدارس ان توظف الفنون الراقية في دعم بناء الشخصية الإنسانية الوسطية الوطنية القادرة على المشاركة في معركة البناء والتنمية ومحاربة التطرف والإرهاب في مصر، ويكفي هنا أن نستشهد بالأغاني الوطنية الرائعة أيام حرب الاستنزاف وحرب ١٩٧٣، وما كان لها من آثار ايجابية عميقة في تأجج وشحن الروح الوطنية في نفوس الشعب والمحاربين مما ادى إلى الانتصار على اسرائيل واسترداد الارض المغتصبة والكرامه الوطنية.

خاتمة البحث

التعليم في دولنا الإسلامية وفي مصرنا الحبيبة يستهدف خلق الشخصية الوسطية، والوسطية منهج أصيل في الإسلام يعني العدل والخير والاستقامة، والوسطية تعني الحق بين باطلين أو يعني كما أشار الإغريق قديماً فضيلة بين رزيلتين، أو وسط بين طرفين هما إفراط وتفريط وكلاهما رزيله، والوسطية تعني القصد والاعتدال والحكمة، قال تعإلى (واقصد في مشيك) والقصد في الفقه يعني الاعتدال وعدم التطرف إسرافاً وتنفيراً وأيضاً العقلانية التي تجمع بحكمة بين العقل والنقل، بين علم الغيب والمشاهدة، والوسطية تحقق التوازن بين الثوابت والمتغيرات، أو بين أصول الإسلام الثابتة، وبين متغيرات العصر – كل عصر – وهذا يعني ان الوسطية تعني التوازن الحكيم بين فقه الشرع وفقه الواقع (وكذلك جعلناكم امه وسطاً) (البقرة ١٤٣).

والشخصية الوسطية العادلة الحكيمة هي التي تأخذ بمتغيرات العصر (العلوم والفنون والتكنولوجيا والمعلومات الرقمية ...) بما لا يتناقض مع ثوابت الدين وهي قليلة، لكنها حاكمة وضابطة وموجهة، والوسطية تؤكد على حقوق وحريات وكرامة الإنسان دون تمييز، وعلى المواطنة المسئولة، وعلى الشورى، وعلى البناء دون الهدم ، وعلى الجمع دون الفرقة، وعلى القرب دون التباعد، وعلى تحقيق التوازن بين ثوابت الذات، وعقلانية المتكلمين، وروحانية المتصوفين، وانضباط الفقراء والأصوليين، الشخصية الوسطية هي التي تنطلق من ثوابت الدين لتعايش الحاضر وتستشرف المستقبل.

لقد حاولنا في هذه الدراسة ربط التعليم ببناء الشخصية الوسطية العادلة العاملة المهنية المنتجة، الشخصية الوطنية التي تؤمن بالمواطنة الشخصية القادرة على التسلح بثوابت الدين، وأحدث متغيرات العصر العلمية والتكنولوجية، والقادرة على البناء والتنمية ومواجهة الاخطار والمعوقات، وعلى مواجهة كل أشكال الاستقطاب من العناصر الإرهابية والذباب الإلكترونية.

مراجع مختارة للقراءة

١. أعمال مؤتمر الازهر العالمي للسلام ٢٧–٢٨ ابريل ٢٠١٧ – مجلس حكماء المسلمين – دار القدس العربي.
٢. الحرية والمواطنة والتنوع – أعمال مؤتمر الازهر ومجلس حكماء المسلمين ٢٨ فبرير – ١ مارس ٢٠١٧ – دار القدس.
٣. مقالات في التجديد – تقديم فضيلة الإمام الاكبر – دار القدس ٢٠١٨م.
٤. الشرق والغرب : نحو حوار حضاري إنساني : أعمال لقاء فلورنسا ٩٠٨ يونيو ٢٠١٥ – المشيخة الطبقة الثانية ٢٠١٨م.
٥. لقاء ابو ظبي : نحو عالم متفاهم ومتكامل، الندوة العالمية لمجلس حكماء المسلمين وكتبة كانزبري – ابو ظبي ٢–٣ نوفمبر ٢٠١٦.
٦. محمود حمدي زقزوق : الفكر الديني وقضايا العصر – مجلس حكماء المسلمين – دار القدس العربي الطبعة الثانية ٢٠١٨.
٧. محمود حمدي زقزوق : المسلمون في مفترق الطرق : دار القدس العربي : الطبعة الأولى ٢٠١٦.
٨. محمد محمد ابو موسى : من مداخل التجديد : دار القدس العربي : الطبعة الأولى ٢٠١٨.
٩. الازهر في مواجهة المفاهيم المغلوطة : من أعمال مؤتمر الازهر العالمي لمواجهة التطرف والإرهاب ٣–٤ ديسمبر ٢٠١٤ : دار القدس العربي : الطبعة الثانية ٢٠١٨.
١٠. الازهر في مواجهة الفكر الإرهابي : من أعمال مؤتمر الأزهر العالمي لمواجهة التطرف والإرهاب ٣–٤ ديسمبر ٢٠١٤ : الطبعة الأولى ٢٠١٨.
١١. لقاء جينيف : دور الاديان في نشر السلام ونبذ العنف والكراهية : الندوة الدولية لمجلس حكماء المسلمين ومجلس الكنائس العالمي – جينيف – سويسرا ٣٠ سبتمبر – أول اكتوبر ٢٠١٦.
١٢. د. محمد مختار جمعة : مفاهيم يجب أن تصحح : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية : الطبعة الرابعة ٢٠١٦.
١٣. د. عبد العزيز سيف النصر : المنطق وتجديد الخطاب الديني : مجلة الازهر ٢٠١٦.

١٤. د. محمد الصادق عجروت : محمد : منهج ورسالة : بحث وتحقيق : مجلة الأزهر ٢٠١٦م.
١٥. محمود حمدي زقزوق : الحضارة فريضة اسلامية : مجلة الأزهر ٢٠١٦ م.
١٦. د. محمد ابو زهرة : شريعة القرآن من دلائل إعجازه: مجلة الازهر ١٢٩٤هـ.
١٧. د. نبيل السمالوطي : البناء الاجتماعي في المجتمع الإسلامي : رابطة الجامعات الإسلامية – العدد (٥) ٢٠٠٦م.
١٨. د. نبيل السمالوطي : العطاء الإسلامي للحضارة الإنسانية – رابطة الجامعات الإسلامية العدد (٦) ٢٠١٠م.
١٩. د. نبيل السمالوطي : العلوم الاجتماعية في مصر بين التغريب والتوطين : رابطة الجامعات الإسلامية ٢٠١٧م.
٢٠. د. نبيل السمالوطي : علم النفس التربوي – دار الشروق – عدد الجزء الرابع ١٩٩٦م.
٢١. أهم المشكلات التي تواجه التعليم في العالم الإسلامي : مجلة الجامعة الإسلامية – رابطة الجامعات الإسلامية عدد ٢٨ لسنة ١٩٩٨م.
٢٢. انو ابو طه وآخرون : خطاب التجديد الإسلامي : دار الفكر – دمشق ٢٠٠٤م.
٢٣. د. نبيل السمالوطي : التنظيم المدرسي والتحديث التربوي : دار الشروق جده ١٩٨٦م.
٢٤. د. نبيل السمالوطي : الايدولوجيا وقضايا علم الاجتماع : النظرية والمنهجية والتطبيقية – دار المطبوعات الجديدة للطباعة والتوزيع – الاسكندرية ١٩٨٩م.
٢٥. د. لطيفة ابراهيم نصر : هويتنا إلى اين : عالم الكتب ٢٠٠٩م.
٢٦. سعيد اسماعيل على : واقع التعليم الاجنبي ومشكلاته في الدول الإسلامية : العدد ٤٦ – مجلة الجامعة الإسلامية : رابطة الجامعات الإسلامية ٢٠٠٦م.